Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

The Efforts of Shaykh Shabir Ahmad al-Uthmani in the Establishment of Qadda and Qadr

جهود الشيخ شبير أحمد العثماني في إثبات القضاء والقدر

سید شاہ رخ کمال

الباحث في مرحلة الدكتوراه بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، باكستان

الدکتور عبدالوھاب جان الأزھري

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، باكستان

Citation: سيد شاه رخ كمال, & الدكتور عبد الوهاب جان الأزهري. (2024). The Efforts of Shaykh Shabir Ahmad al-Uthmani in the Establishment of Qadda and Qadr: جهود الشيخ شبير أحمد العثماني في إثبات القضاء والقدر. *Al-Qirtas*, *3*(4), 54-790. Retrieved from https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas/article/view/363

Abstract:

This dissertation extensively examines the scholarly endeavors of ʿAllāma Shabbīr Aḥmad al-ʿUsmānī, a revered Deobandi scholar from Pakistan. It specifically delves into the realm of Ilāhiyyāt, a fundamental aspect concerning the Divine God, which is one of the three pivotal domains within the Islamic theological framework, alongside nubuwwāt (pertaining to prophethood) and samʿiyyāt (relating to the unseen). Within this comprehensive study, the dissertation skillfully highlights and dissects al-ʿUsmānī's substantial contributions, particularly in the realm of al-Qadr (divine decree). His meticulous work reflects a deep commitment to aligning these concepts with the established principles of Ahl-us-Sunnah. The dissertation further illuminates his adept engagement with the intricate debates surrounding divergent theological perspectives, notably addressing the ideologies of Jabariyyah, Qadariyyah and Muʿtazilā. This dissertation showcases how Ahl-us-Sunnah has consistently upheld a nuanced perspective that acknowledges both divine decree and human responsibility. The study delves into the theological reasoning and textual foundations that underpin this balanced approach, demonstrating how Ahl-us-Sunnah harmonizes elements from both ends without succumbing to the pitfalls of either extreme.

Keywords: *ilāhiyyāt, ʿAllāma Shabbīr Aḥmad al-ʿUsmānī, Pakistani Deobandi Scholar, al-Qadr, Muʿtazilā, Jabariyyah, Qadariyyah, Ahl-us-Sunnah.*

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

التمهيد

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ سَفِينَةِ النَّجَاةِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالتُّقَى، وَمَنِ اسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ وَاهْتَدَى بِهُدَاهُ.

أما بعد، تعدّ قضية القضاء والقدر من القضايا العقدية المهمة التي أثارت الكثير من النقاش بين علماء المسلمين عبر العصور، نظرًا لأهميتها في فهم طبيعة العلم الإلهي، والقدرة، والإرادة. تبحث هذه الدراسة في جهود الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى، العالم البارز والمفكر من المدرسة الديوبندية، في إثبات عقيدة القضاء والقدر وفق منهج أهل السنة والجماعة. تستعرض الدراسة دور الشيخ في الدفاع عن مبدأ علم الله الشامل، وقدرته المطلقة، وإرادته الحكيمة التي تشمل كل شيء. كما تُبرز التوازن بين القضاء الإلهي واختيار الإنسان، وتشرح كيفية تحقيق الانسجام بين قدرة الله وإرادة العباد دون الوقوع في الجبر أو الاعتزال.

تناقش هذه الدراسة أيضًا منهج الشيخ رحمه الله تعالى في دحض المذاهب الضالة كالجبريّة والمعتزلة، من خلال تحليله للأدلة النقلية والعقلية، وبيان تناقضات المذاهب التي تبتعد عن العقيدة الصحيحة. ويتناول الشيخ رحمه الله تعالى بالتفصيل الفروق الدقيقة بين القضاء المعلّق والمبرم، ويستند في طرحه على مفاهيم علمية وفلسفية لتوضيح العلاقة بين الإرادة البشرية والمشيئة الإلهية.

تسلط الدراسة الضوء على تفسيرات الشيخ رحمه الله تعالى لنصوص القرآن والسنة حول مفهوم القدر، وكيفية معالجة الإشكالات الفلسفية التي أثيرت حول علم الله المسبق، وتأثير هذا العلم على اختيار الإنسان ومسؤوليته الأخلاقية.

خطة البحث

التمهيد

المبحث الأول: ترجمة الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى وحياته العلمية

يتناول هذا المبحث نشأة الشيخ، وتعليمه، ومسيرته العلمية، ودوره في نشر العلوم الشرعية، ودوره السياسي في دعم استقلال باكستان.

المبحث الثاني: تعريف عقيدة القدر وأهميتها

يستعرض المفاهيم الأساسية للقدر، تعريفاته اللغوية والاصطلاحية، وأهميته في الإيمان.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في إثبات القضاء والقدر على منهج أهل السنة والجماعة

يركز هذا المبحث على جهود الشيخ شبير أحمد العثماني في إثبات عقيدة القضاء والقدر، وتوضيح التوازن بين علم الله الشامل واختيار الإنسان، مع دحض المذاهب المخالفة كالجبريّة والمعتزلة.

النتائج والتوصيات

تلخيص أهم النتائج المستخلصة من البحث وتقديم توصيات لتعميم الفهم الصحيح لعقيدة القدر.

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

المبحث الأول: ترجمة الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى وحياته العلمية

حياته ونشأته

الشيخ شبير أحمد العثماني كان واحداً من العلماء البارزين في شبه القارة الهندية، الذين أسهموا في المجالات الدينية والعلمية والسياسية. وُلِد في منطقة 'بجنور' في الهند يوم العاشوراء من عام 1305هـ/1885م.[i] كان والده الشيخ فضل الرحمن قد سماه 'فضل الله'، لكنه عُرِف واشتهر باسم 'شبير أحمد'.[ii] يعود نسبه إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه،[iii] وقد نشأ في أسرة معروفة بالتدين والعلم.[iv] كان لوالده تأثير كبير في توجيهه نحو العلم، حيث كان شغوفاً بالعلم منذ صغره.

تعليمه ومراحل دراسته

بدأ الشيخ رحمه الله تعالى تعليمه في سن السابعة عندما التحق بمدرسة دار العلوم ديوبند،[v] حيث تلقى العلوم الابتدائية ثم بدأ دراسته في الكتب الفارسية. تلقى تعليمه على يد مجموعة من أشهر مشايخ ذلك الزمان، مثل الشيخ محمد ياسين – والد العلامة المفتي الكبير محمد شفيع قدس الله روحه[vi] – والشيخ محمود حسن الديوبندي،[vii] والشيخ الحكيم محمد حسن، والشيخ مولانا غلام رسول الهزاروي، والشيخ مولانا محمد ياسين الشيركوتي وغيرهم رحمهم الله تعالى.[viii] كان الشيخ معروفاً بذكائه وقدرته الفائقة على الاستيعاب، حتى أنه أصبح يُدَرِّس كتب المنطق والعلوم الإسلامية وهو لا يزال طالبًا. تخرج من دار العلوم ديوبند بتفوق عام 1325هـ/1908م.[ix]

الزهد والتفاني في العبادة

منذ فترة شبابه، أظهر الشيخ رحمه الله تعالى رغبة في الزهد والعبادة، حيث كان يقضي الليالي في الصلاة والتأمل، حتى إنه بدأ يُصاب بالنحافة جراء كثرة عبادته، ما أثار قلق والدته. رغم ذلك، كان يُصر على الالتزام بالعبادة، مؤمناً بأنها السبيل إلى الراحة الحقيقية في الآخرة.[x]

مساهماته التعليمية

بعد تخرجه، تم تعيينه مدرِّساً في دار العلوم ديوبند نفسَ العام، ثم انتقل إلى مدرسة 'فتحبوري' في دلهي ليكون رئيساً للمدرسين هناك. أسهم الشيخ العثماني رحمه الله تعالى في تعليم الطلاب من خلال تدريس أمهات الكتب في الفقه والحديث والتفسير. في عام 1348هـ، انتقل إلى جامعة داهيل حيث تولى تدريس صحيح مسلم وتفسير البيضاوي. ثم عاد مجددًا إلى ديوبند، في عام 1354هـ، ليشغل منصب رئيس المدرسة حتى عام 1362هـ. واشتغل بجامعة داهيل مرة أخرى لعدة أشهر، ثم عاد إلى ديوبند لما اعترته الأمراض والأسقام.[xi]

تأثيره العلمي والتربوي

كانت للشيخ العثماني رحمه الله تعالى مكانة مرموقة بين العلماء، وتخرج على يديه عدد كبير من العلماء الذين أصبحوا لاحقاً مرجعيات في العالم الإسلامي. ومن أبرز تلاميذه: المفتي محمد شفيع العثماني، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي،[xii] والشيخ بدر العالم الميرَتهي،[xiii] والسيد مناظر أحسن الجيلاني،[xiv] وحفظ الرحمن السيوهاروي، والقاري محمد طيب القاسمي، وأظهر السلهتي، والسيد يوسف البنوري – مؤسس دار العلوم الإسلامية البنورية، كراتشي،[xv] والسيد محمد عبد السميع الندوي.

الدور السياسي وجهود الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى في دعم استقلال باكستان

برز الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى كأحد العلماء المسلمين القلائل الذين دعموا بقوة فكرة إقامة دولة إسلامية مستقلة للمسلمين في شبه القارة الهندية، والتي عُرِفت لاحقًا بنظرية باكستان. شارك في النشاطات السياسية منذ بداياته، وخاصة

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

خلال فترة حرب البلقان. وانضم إلى 'مسلم ليك'، الحزب السياسي الذي مثّل مصالح المسلمين في الهند خلال فترة الاستعمار البريطاني، ودافع عن حقوقهم بشجاعة.[xvi]

كان لدعمه لتأسيس باكستان تأثير كبير في الحركة السياسية، خاصة بعد انقسام علماء ديوبند بين مؤيدين ومعارضين لفكرة باكستان. ورغم الانقسام، كان الشيخ العثماني رحمه الله تعالى من أوائل العلماء الذين دعوا صراحةً إلى تأييد الدولة الجديدة. هذا الدعم دفع القائد الأعظم محمد علي جناح إلى اختياره لرفع راية باكستان لأول مرة، كما اختاره إمامًا لجنازته فأوصى بأن يصلي عليه الشيخ العثماني رحمه الله تعالى.

مشاركته في صياغة الدستور الإسلامي لباكستان

بعد استقلال باكستان عام 1947م، لعب الشيخ العثماني رحمه الله تعالى دورًا مهمًا في العمل على صياغة دستور إسلامي للدولة الجديدة. كان من أعضاء الجمعية التشريعية،[xvii] وأحد الذين قادوا حملة لجعل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أساس الدستور. قاد جهودًا متعددة لتحقيق هذا الهدف، حيث نظم مؤتمرًا كبيرًا في دكا عام 1949م لدعم مشروع الدستور الإسلامي، وكانت النتيجة أن الجمعية التشريعية أقرّت 'قرار الأهداف' الذي دعا إلى اعتماد الشريعة الإسلامية كمصدر رئيسي للتشريع.[xviii]

جهود الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى في الإصلاح والدعوة

تميز الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى بجهوده الكبيرة في مجال الإصلاح والدعوة، حيث كان له دور بارز في نشر العلوم الإسلامية والدفاع عن العقيدة الصحيحة. سعى الشيخ إلى إحياء روح الإسلام في الهند عبر التصدي للأفكار الدخيلة والتحديات الفكرية التي كانت تواجه المسلمين، سواء من الداخل عبر المنافقين، أو من الخارج عبر الكافرين. تميّز الشيخ رحمه الله تعالى بحجته القوية وقدرته على إثبات الحق وإبطال الباطل، وسعى بشكل مستمر إلى تقوية عقيدة المسلمين عبر أدلة نقلية وعقلية وفلسفية. وقد تجوّل في أرجاء الهند لإلقاء المحاضرات والخطب، حتى أصبحت دعوته إلى الحق معروفة في معظم أنحاء البلاد.

كما كان له تأثير كبير في نقل علوم المتكلم والفيلسوف قاسم النانوتوي، حيث عمل على تبسيط هذه العلوم المعقدة وجعلها متاحة لفهم الطلاب والمحصّلين.[xix]

وفاة الشيخ وجنازته

توفي الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى عام 1369هـ/1949م، بعد عام وأربعة أشهر من استقلال باكستان. كانت جنازته حدثًا مهيبًا شارك فيه أكثر من مئتي ألف شخص، وأمّهم في الصلاة العلامة المفتي محمد شفيع العثماني رحمه الله تعالى. لقد كانت وفاته خسارة كبيرة للعالم الإسلامي ولشعب باكستان على وجه الخصوص، فقد كان واحدًا من العلماء الذين أسهموا بصدق في دعم قضايا المسلمين والدفاع عن حقوقهم في أصعب الظروف.[xx]

مؤلفاته وأثره الفكري

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

ألّف الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى العديد من الكتب التي تناولت مواضيع مختلفة في العلوم الإسلامية، منها: الفوائد التفسيرية، والإسلام، والشهاب، وإعجاز القرآن، والأمالي على صحيح البخاري، وفتح الملهم بشرح صحيح مسلم، ومعارف القرآن وغيرها. كانت كتبه مرجعًا للطلاب والعلماء، حيث امتازت بالدقة والعمق العلمي. كان الشيخ رحمه الله تعالى من العلماء الذين سعوا لتبسيط المعارف وتقديمها بشكل يجعلها مفهومة للأجيال القادمة، مما أسهم في انتشار فكره وتوسّع أثره التعليمي.

خاتمة

لقد كانت حياة الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى نموذجًا للعالم المسلم الذي يجمع بين العلم والعمل والدعوة والإصلاح. كان لدوره في تأسيس باكستان ودعم الدستور الإسلامي، فضل كبير على الأمة الإسلامية، فقد كرّس حياته لخدمة الإسلام والمسلمين. ورغم مرور السنين، لا يزال أثره باقيًا في الكتب التي ألّفها وفي الأجيال التي تتلمذت على يديه.

المبحث الثاني: التعريف بعقيدة القدر وأهميتها

القدر لغةً

1. ''القَدْرُ والقَدَرُ الْقَضَاءُ والحُكْم.''[xxi]
2. ''القَدَرُ، محرّكةً: القَضَاءُ المُوَفَّق، نَقله الأَزهريُّ عَن اللَّيْث، وَفِي المحْكَم: القَدَرُ: القَضَاءُ والحُكْمُ.''[xxii]
3. (الْقدر) الْمِقْدَار يُقَال هم قدر مائَة وَيُقَال جَاءَ الشَّيْء على قدر الشَّيْء وَافقه وساواه ومساوي الشَّيْء من غير زِيَادَة وَلَا نُقْصَان يُقَال هَذَا قدر هَذَا وَالْحُرْمَة وَالْوَقار يُقَال لَهُ عِنْدِي قدر (ج) أقدار.''[xxiii]

القدر اصطلاحًا

1. ''هُوَ مَا يُقَدّره اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْقَضَاءِ وَيَحْكُمُ بِهِ مِنَ الأُمور.''[xxiv]
2. ''(الْقدر) مِقْدَار الشَّيْء وحالاته الْمقدرَة لَهُ وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {إِنَّا كل شَيْء خلقناه بِقدر} وَوقت الشَّيْء أَو مَكَانَهُ الْمُقدر لَهُ وَالْقَضَاء الَّذِي يقْضِي بِهِ الله على عباده (ج) أقدار.''[xxv]

عقيدة القدر هي أن الله تعالى كتب كل شيء بعلمه في اللوح المحفوظ قبل الخلق، وكل شيء سيقع كما هو في علم الله تعالى دون أي عدول؛ فقد كتب الله تعالى بعلمه من هو من أهل الجنة ومن هو من أهل النار، ومن هو سعيد ومن هو شقي، قبل مولده.

جاء في صحيح البخاري:

''حَدَّثَنَا عُثْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ oوَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰo [xxvi] الآيَةَ.''[xxvii]

وبيّن الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى هذه العقيدة في شرحه لصحيح مسلم، فقال:

''ويقال: القدَر والقدْر: بفتح الدال وإسكانها لغتان مشهورتان. تقول قدرت الشيء – بتخفيف الدال، وفتحها – أقدره – بالكسر والفتح – قَدْرًا وقَدَرًا إذا أحَطْتَ بمقداره. والمراد أن الله تعالى علِمَ مقادير الأشياء وأزمانها[xxviii] قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادرٌ عن علمه وقدرته وإرادته،[xxix] هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، كما ذكر في علم الكلام، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة رضي الله عنهم.''[xxx]

''قوله: {وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ} إلخ: أي نفعه وضره، وزيد في رواية: {وحلوه ومره} والمعنى: تعتقد أَن الله قدر الخير والشر قبل الخلائق، وأن جميع الكائنات متعلق بقضاء الله، مرتبط بقدره.''[xxxi]

أهمية عقيدة القدر:

تعد كل مسائل العقيدة مهمة؛ فكل واحدة منها تحمل أهمية خاصة من زاوية معينة، ولكن بعضها أدق وأكثر تعقيدًا من الأخرى. ومن بين هذه المسائل مسألة وجود الله تعالى وتوحيده في ذاته وصفاته، وكذلك مسألة القدر وعلم الله تعالى. تتناول هذه المسألة أيضًا البحث في الاختيار والاضطرار، أي القدر والجبر، وهذا ما يستدعي التطرق إلى مسألة الكسب.

مسألة القدر، من جهة، تعد من البديهيات التي لا يمكن لأي إنسان التغاضي عنها، ومن جهة أخرى، هي دقيقة للغاية لأنها تتعلق بصفات الله تعالى. ولذلك، عثر كثير من العلماء والجهابذة فيها، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد شفيع العثماني رحمه الله تعالى.[xxxii]

بالنظر إلى دقة هذا الموضوع وأهمية الملكة العقلية التي منحها الله تعالى للشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى في مجال المنطق والفكر، طلب الشيخ محمد أنور شاه الكشميري[xxxiii] رحمه الله تعالى منه أن يكتب في هذا الموضوع إلى جانب بحث المعجزات. استجاب الشيخ رحمه الله تعالى لهذا الطلب وكتب رسالة تحت عنوان 'خوارق العادات'. وقد ظل هذا الموضوع لفترة طويلة محور اهتمام الشيخ رحمه الله تعالى، حتى أنه ألقاه كمحاضرة أثناء تدريسه لصحيح البخاري في دابهيل. أكمل الشيخ رحمه الله تعالى هذه المحاضرة بمراجعة وإضافة قبل وفاته، إلا أن الرسالة لم تُطبع في حياته. وبعد وفاته، قام أخوه فضل الحق بنشر هذه المحاضرة كرسالة مختصرة.[xxxiv]

سنعرض في هذه الورقة مضمون هذه الرسالة باعتبارها رسالةً مستقلةً تتناول هذا الموضوع بشكل موجز، كما سنشير إلى نفس المفاهيم إذا تناولها الشيخ رحمه الله تعالى في مؤلفاته الأخرى، وإذا لم يكن كذلك، فسنضيفها في مواضعها المناسبة.

تقسيمه

في تعريف القدر، قسم الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى القدر إلى قسمين:

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

1. القضاء المعلَّق؛ الذي يمكن تبدله
2. والقضاء المبرم؛ الذي لا يتبدل.

وعلى الرغم من أن الشيخ رحمه الله تعالى لم يكتب كثيراً عن هذه الأقسام، إلا أنه أشار إلى رغبته في كتابة تفسير مستقل حول هذا الموضوع إذا أتيح له الوقت.[xxxv]

المبحث الثالث: جهود الشيخ رحمه الله في إثبات القضاء والقدر على منهج أهل السنة والجماعة.

الحديث الصحيح المذكور في المبحث الأول يُعدّ دليلاً على استحالة وقوع أي شيء مخالف لما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ، [xxxvi] لا تأخيراً ولا تقديماً،[xxxvii] لأن القدر يعني الفرضية والاعتبار.[xxxviii] فقضاء الله وقدره يسودان في كل حال، وكل شيء له وقت معلوم في علم الله تعالى.[xxxix] وبهذا البيان، يصبح الموضوع واضحاً وبسيطاً، دون أي غموض أو تعقيد، إلا من بعض الإشكالات الضعيفة التي تنشأ من عدم التفكر والتعمق في الموضوع.

غير أن هذه الإشكالات ظهرت للمؤمنين كما ظهرت للمنكرين، وكان الشيخ رحمه الله تعالى حريصاً على معالجة إشكالات المؤمنين أولاً، باعتبارها الأسهل في الفهم والتوضيح.

يجب أيضًا الإشارة إلى أن الشيخ العثماني رحمه الله تعالى استند في ردود إشكالات المؤمنين إلى تفسير الأدلة الشرعية والنصوص القرآنية والحديثية التي تدل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة القضاء والقدر. فقد استخدم الشيخ رحمه الله تعالى منهجًا علميًا دقيقًا في التعامل مع النصوص الشرعية لضمان دقة الفهم ووضوح المفاهيم لدى المسلمين.

التقدير والتدبير

بدأ الشيخ رحمه الله تعالى رسالته بالإجابة على الإشكالات التي واجهت الصحابة فيما يتعلق بالحديث المذكور، مُستنداً إلى توجيهات رسول الله ﷺ. أوضح الشيخ رحمه الله تعالى أن البشر لا يعلمون ما كُتب لهم في القدر، لكنهم سيقومون بما هو مكتوب لهم. والسؤال عن سبب العمل إذا كانت النتائج معلومة ينشأ من قلة التدبر، لأن الأعمال أيضاً مكتوبة وجزء من القدر، كما أن النتائج مكتوبة؛ فالسعيد سيقوم بالأعمال التي تسوقه إلى الجنة، والشقي سيقوم بالأعمال التي تسوقه إلى جهنم. فالقدر لا يشمل النتائج فقط، بل يتضمن الأسباب والوسائل والمقدمات أيضاً، فلا مجال للسؤال.[xl]

الاختيار والاضطرار

يدور هذا البحث حول علم الله تعالى، لأن عقيدة القدر تتعلق بعلم الله تعالى في جوهرها. فلا يمكن لأي شيء أن يحدث أو يتم خلافاً لعلم الله تعالى، حتى لو كانت ذرة، لأن علم الله تعالى شامل لكل شيء، كما قال الله تعالى: اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدءِ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ،[xli] وهنا يظهر السؤال: هل أفعالنا ناتجة عن إرادتنا واختيارنا أم نحن مجبرون ومضطرون؟

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

للإجابة على هذا السؤال، هناك ثلاث طرق: الأولى هي الاعتقاد بأننا مجبرون بالكامل ومحكومون، وهذا مذهب الجبرية. الثانية هي الاعتقاد بأننا نحن من نخلق أفعالنا ونختارها، وهذا مذهب المعتزلة. أما الثالثة فهي مذهب أهل السنة والجماعة الذي يقع في الوسط بينهما. [xlii]

الجبرية

الفرقة الجبرية تعتقد أن الإنسان مجبَر بالكامل، بدون اختيار في أفعاله، لأن الأفعال مقدرة ولا يمكن أن تكون خلافاً لما قدره الله. وإذا لم يكن للإنسان قدرة على الفعل خلافاً للقدر، فأين هو الاختيار؟ أجاب الشيخ رحمه الله تعالى على هذا السؤال من ناحيتين:

الناحية الأولى هي أن العلم المسبق لله تعالى بما سيحدث لا يعني أن اختيارنا مُلغى. فعلم الله لا يسلب منا الاختيار، بل يثبته ويؤكده، لأن الفعل الذي نختاره هو أيضاً مقدور في علم الله. وإذا وقع الفعل دون اختيارنا كما هو معلوم في علم الله، لكان ذلك مخالفاً لعلم الله، وهو أمر مستحيل.

ثم لتوضيح هذه الفكرة، انتقل الشيخ رحمه الله تعالى من بحث أفعال العباد إلى بحث أفعال الله تعالى وتصرفاته، سائلاً: هل أفعال الله ثابتة في علمه القديم أم لا؟ إذا لم تكن ثابتة، فهذا يعني الجهل، والجهل ممتنع على الله. فلا يبقى إلا أن نقر بعلمه القديم بأفعاله وتصرفاته. وإذا كان العلم بالشيء قبل وقوعه يعتبر إجبارًا، فإن هذا المنطق يقود إلى الاعتقاد بأن أفعال الله تعالى اضطرارية، وأنه ليس فاعلًا مختارًا. ولكن الحقيقة هي أن علم الله القديم لا ينفي إرادته واختياره. ثم وضحه الشيخ رحمه الله تعالى بمثال.[xliii]

الناحية الثانية هي التمييز بين الحركات الإنسانية الإرادية والاضطرارية. فإقرار وجود هذا التمييز ضروري، وإنكاره يُعد مكابرة. ولهذا السبب، يقال إن القدرية (المنكرين للقدر) تجاوزوا في الإنكار والإفراط، والجبرية تجاوزوا في البلادة، لأن حتى الحيوانات تميز بين الحركة الإرادية والحركة الاضطرارية، كما هو الحال في حركة المرتعش. وضرب الشيخ رحمه الله تعالى مثالاً على ذلك بكلب يُضرب بالحجارة، حيث أن الكلب لن ينبح على الحجارة، بل على الشخص الذي ضربه. وكذلك الحال مع الثعبان والأسد وغيرهما. [xliv]

المعتزلة

كانت الفرقة المعتزلة على النقيض من الفرقة الجبرية. عقيدة القدر، التي تقضي بأن كل شيء مثبت في علم الله سبحانه وتعالى قبل وقوعه، تثير إشكالاً، وهو أنه إذا علم الله بالجريمة قبل وقوعها ولم يوقفها، فهذا يُعدّ بمثابة إعانة على الجريمة.

القدماء من المعتزلة

لذلك أنكر القدماء من المعتزلة علمَ الله تعالى القديمَ المحيطَ لأفعال العباد قبل وقوعها، كما ورد في حديث صحيح مسلم:

”عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ – أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ – فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ».''[xlv]

ثم ساق الشيخ رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث كلام العلماء في تعريف القدرية وروادها وإنكارهم على هذا التلقيب. وذكر من كتاب "الأنساب" للسمعاني أن معبدًا الجهني كان يجالس الحسن البصري رحمه الله تعالى. كما اقتبس الشيخ رحمه الله تعالى من كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن معبدًا تلقى عقيدة نفي علم الله تعالى بأفعال عباده قبل وقوعها عن سيسويه أو سُوْسَن، وهو رجل من أبناء اليهود، لكن هذا المذهب انقرض.[xlvi]

وأشار الشيخ إلى أن القدماء من المعتزلة أنكروا علم الله تعالى بأفعال العباد لتنزيه الله عن سيئات ومظالم ومعاصي البشر، كي لا يكون الله تعالى خالق أفعالهم. ولكن هذا القول يؤدي إلى إثبات الجهل لله تعالى، وهو أمر لا يليق به.[xlvii] ولهذا قال القاضي عياض رحمه الله تعالى إن من قال بذلك فهو كافر بلا خلاف. وأشار الشيخ العثماني رحمه الله تعالى إلى أن الإيماء إلى تكفيرهم وارد في قول ابن عمر رضي الله عنهما: {فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ}. وإن لم يكن صريحًا، إلا أنه ظاهر من قوله: {مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ}.[xlviii]

المتأخرون من المعتزلة

ثم بيّن الشيخ رحمه الله تعالى أن المتأخرين من المعتزلة أدركوا أن إنكار علم الله تعالى، بما يستلزم إثبات الجهل لله تعالى، هو جهل بحد ذاته. لذلك، لتجنب نسبة الجهل إلى الله وتنزيهه عن الشر، قالوا إن الله يعلم كل شيء قبل وقوعه، وإنه خالق العباد ولكنه ليس خالق أفعالهم، ولا تصدر أفعالهم عن إرادة الله ومشيئته، بل هم أنفسهم خالقوها. ولكن بهذا القول، فإنهم يجعلون الله تعالى عاجزاً عن إيقاف الشر رغم علمه به، مما يُعدّ نوعًا من السفه. ومع ذلك، فإن جعل العباد خالقين لأفعالهم يُعتبر نوعًا من الشرك، ونسبة الشر إلى الله تبقى قائمة كما كانت في اعتقادهم السابق. ثم نقل الشيخ رحمه الله تعالى قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ''إن سلم القدري العلمَ خُصِم.''[xlix]

ومن خلال دراسة الفرق بين المعتزلة الأوائل والمتأخرين، يظهر بوضوح أن أساس المشكلة لدى المعتزلة، سواء القدماء أو المتأخرين، هو عدم الفهم الكامل لصفتي العلم والإرادة لله تعالى، ومحاولتهم الفاشلة في التوفيق بين هذه الصفات وبين حرية الإنسان. وقد زاد المتأخرون على القدماء بالتناقض، حيث حاولوا إثبات علم الله مع نفي تأثير إرادته في أفعال العباد، مما أوقعهم في تناقض منطقي وفكري.

ويضاف إلى ذلك أن مذهبهم أدى إلى تجاهل قدرة الله المطلقة، مما يعكس قصوراً في تصورهم للإله الذي لا تحده قيود ولا يتأثر بأفعال خلقه. وهذا القصور في الفهم هو الذي جعلهم يقعون في هذا التناقض الواضح، حيث أنهم لم يتمكنوا من التوفيق بين علم الله الأزلي وقدرته الكاملة وبين حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله.

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

حماية مذهب أهل السنة بإبطال المذاهب الضالة

يتفق أهل السنة والجماعة مع المتأخرين من المعتزلة في إثبات علم الله تعالى القديم المحيط بأفعال عباده قبل وقوعها،[l] لكنهم يخالفونهم في اعتقادهم بأن العباد خالقو أفعالهم، حيث يؤمن أهل السنة بأن الله خالق الخير والشر.[li]

يجب أيضًا الإشارة إلى أن أهل السنة والجماعة يركزون على التوازن بين الإرادة الحرة والقدرة الإلهية في إطار العقيدة الإسلامية، مع التأكيد على أن العلم الإلهي لا يتعارض مع حرية الاختيار للإنسان. هذا التوازن يساهم في تجنب الوقوع في المفاهيم الخاطئة مثل الجبرية أو القدرية التي قد تؤدي إلى استنتاجات غير صحيحة حول مسؤولية الإنسان والأفعال.

في رسالته، وبعد استعراض عقيدة المتأخرين من المعتزلة وبيان فسادها، قدم الشيخ رحمه الله تعالى دليلاً على بطلانها، كما وضحه المولانا أنوار الله خان في رسالته "خلق الأفعال". أوضح الشيخ رحمه الله تعالى بدايةً معنى "الخلق" وهو إعطاء الوجود بإرادة، ثم بيّن أن وجود الإنسان، وإدراكه للإحساس، والتعقل، والقدرة، والقوة الإرادية، والجوارح، كلها مخلوقة لله تعالى. وأشار إلى أن الحركة الإرادية – كما شرحها ابن سينا في "القانون" – تحدث من خلال قوة تنبعث من الدماغ وتصل إلى الأعضاء عبر الأعصاب؛ جذبت الأعضاء بجذب الوتر، الملتحق من الرباط والعصب، النافذ في الأعضاء، مما يؤدي إلى تقلص العضلات وانبساطها. ولكن، لا يدرك الإنسان ما يحدث داخله عند وقوع هذه الحركة؛ وبالتالي فإن وقوعها يتم دون اختيار الإنسان لأن الاختيار يتطلب العلم المسبق. وبهذا، أثبت الشيخ رحمه الله تعالى أن إرادة حركة العضو ليست إرادةً مستقلة لحركة العصب والعضلة، وبالتالي يبطل مفهوم "خلق العباد لأفعالهم.[lii]

كما قدّم المولانا القاسم النانوتوي مثالًا آخر يوضح فيه أن القوى، والأسباب، والآلات التي تُستخدم لأداء أفعال العباد، من أولها إلى آخرها، مخلوقة لله تعالى، مما ينفي إمكانية أن تكون الأفعال نفسها مخلوقة من قبل العباد.[liii]

مسألة الكسب

في البداية، أشار الشيخ رحمه الله تعالى إلى دقة هذا الموضوع وأنه قد زلّت فيه أقدام الأكابر، حتى أن بعض المتكلمين قالوا إن الجبر والكسب هما قوامان لا فرق بينهما. وقد واجه الأكابر مثل الرازي صعوبة في حل هذه العقدة، بينما حلها الشيخ الأكبر في "الفتوحات"، كما أن حلها لا يمكن إلا للعارفين.[liv]

ثم وضح الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى المسألة بثلاثة أمثلة. أولها أن الفارق بين الحركة الإرادية، مثل حركة اليد للكتابة، والحركة غير الإرادية الاضطرارية، مثل حركة الرعشة، يكمن في وجود قوة متميزة تسمى "القدرة" أو "القوة الإرادية". لكن كما بيّن الشيخ رحمه الله تعالى سابقًا، لا يمكن لهذه القدرة أن تكون مستقلة، بل هي تحت مشيئة الله تعالى، الذي هو منبع الكمالات والوجود. فتصرف قوة الله تعالى الكاملة وقدرته المستقلة في الإنسان يظهر في صورتين: إما تؤثر بشكل مباشر دون تدخل قدرة الإنسان، كما في الحركة غير الإرادية مثل الرعشة، وهي جبر محض؛ أو بتوسط قدرة الإنسان غير المستقلة، كما في الحركة الإرادية مثل حركة اليد للكتابة، وهي ما يُعرف بالكسب. وقد استخدم الله تعالى كلمة "الكسب" في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تعالى: لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .[lv]

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

الأمثلة الأخرى التي قدمها الشيخ رحمه الله تعالى لتوضيح نفس الفكرة تضمنت مثال ضوء الشمس، سواء كان مباشرًا أو منعكسًا عبر القمر، ومثال الزجاج المحترق، حيث يتغير تأثير الضوء واسمه بسبب التوسط، رغم أنه في أصله ضوء الشمس.

وفي ختام الشرح، لخص الشيخ رحمه الله تعالى بأنه إذا كان الكسب هو درجة برزخية بين الجبر والاختيار، فلا إشكال في مسألة الجزاء، لأن أساس الجزاء يعتمد على الكسب. فالإنسان ليس مجبرًا محضًا ولا مختارًا مستقلًا وخالقًا لأفعاله.

وفي مواجهة شبهة الجبرية، التي تقول إنه إذا كانت قدرة الإنسان غير المستقلة تحت مشيئة الله، فكيف يمكن تبرير الجزاء والعقاب؟ أجاب الشيخ رحمه الله تعالى بأن أصل هذه الشبهة هو قياس مجازات الله على مجازات الدنيا، وهذا خطأ. فالمجازات عند الله ليست انتقامًا دنيويًا بل سببًا طبيعيًا؛ فإذا وُجد السبب ترتب عليه المسبب.[lvi]

ولذلك، يأخذ كل عمل الإنسان وجودًا خاصًا في الآخرة، كما جاء في الحديث أن "الجنة قيعان".[lvii]

أما بخصوص سبب تأثير سبب معين، فهذا أمر غير مفهوم بالكامل لدى البشر. ورغم ذلك، لا يشكك الناس في فعالية الأدوية بناءً على تجارب الآخرين، فلماذا يشككون في إخبارات الرسل؟ [lviii]

ويجب أيضًا التنويه إلى أن مسألة الكسب تعتبر من المسائل التي أثارت جدلاً واسعًا بين الفلاسفة والعلماء عبر العصور، وقد قدمت العديد من الآراء والتفسيرات حول كيفية تأثير الإرادة البشرية على الأفعال والنتائج. ولهذا فإن فهم مسألة الكسب يتطلب دراسة عميقة للمفاهيم الفلسفية والعلمية المتعلقة بالإرادة والقدرة.

بهوت الماديين

يجهل الجميع – سواء أكانوا من الماديين الملحدين أم من الموحدين – سبب تأثير بعض الأشياء دون غيرها، ووجودَ بعض الأشياء بطرق معينة دون سواها. لكن الفرق بينهما يكمن في أن إله الماديين، الذي هو جماد لا يعقل، لا يعلم شيئًا، وهو أذل منهم. أما إله الموحدين، فهو يعلم كل شيء بحِكَمِه ومصالحه.[lix]

عِلْمُ اللهِ تعالى باستعداد الأشياء والنفوس

ثم تناول الشيخ رحمه الله تعالى سؤالًا يتعلّق بحكمة الله تعالى في كتابته للقدر، رغم قدرته الكاملة على ما يشاء. إذا كان الله تعالى يعلم كل شيء قبل وقوعه، ويعلم من هو سعيد ومن هو شقي، وله القدرة على تبديل ذلك،[lx]

فلماذا كتب الله تعالى شرًا لبعض الناس دون الآخرين، وكتب بعضهم أشقياء والآخرين سعداء؟ ولماذا لم يجعل الأشقياء من السعداء؟ أجاب الشيخ رحمه الله تعالى بأن الله تعالى فعل ذلك بناءً على علمه باستعداد كل شيء؛ فإذا كان استعداد الأشقياء للسعادة أقل من استعدادهم للشقاوة، لم يجعلهم الله تعالى من السعداء. وعلى النقيض، إذا كان استعدادهم للسعادة أكبر من استعدادهم للشقاوة، فإن الله تعالى يجعلهم من السعداء.[lxi]

مصالح التقدير

يثور هنا سؤال آخر؛ إذا كان الله تعالى خالق كل شيء وجاعل الاستعدادات في خلقه، فلماذا جعل استعداد الشر في بعض خلقه؟ ولماذا لم يشأ الله عدم خلق استعداد الشر، ويهدي الناس جميعًا؟ وأعظم من هذا السؤال: ما سبب خلق إبليس، الذي وصفه

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

ابن القيم بأنه مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات؟ نقل الشيخ رحمه الله تعالى المصالح التي ذكرها الحافظ ابن القيم في هذا الصدد. وخلاصتها أن الله تعالى فعل ذلك لحِكم كثيرة،[lxii] منها: إظهار قدرته على خلق المتضادات والمتقابلات، إظهار أسمائه القهرية، وإظهار آثار أسمائه التي تتضمن الحلم والعفو، وإظهار أسماء الحكمة والخبرة،[lxiii] وإظهار صفاته الكمالية وعظمته الملوكية والجبروت.[lxiv] وقد أكنَّ الله خيرًا في شرٍّ.[lxv]

كيف يرضى الله بما لا يحب؟

بعد تقرير أن الله هو خالق أفعال عباده وخالق الخير والشر، يثور سؤال عن كيفية التوفيق بين رضا الله تعالى وأوامره ونواهيه وبين إرادته. هذا الالتباس ناتج عن عدم التمييز بين الأمر والإرادة. بيّن الشيخ رحمه الله تعالى هذا الفرق مستندًا إلى كلام حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي، الذي قال:

> ''فإن قيل: فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد؟ قلنا: الأمر غير الإرادة. ولذلك إذا ضرب السيد فعاتبه السلطان عليه، فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان. فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه، فقال: أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان؛ فهو يأمر بما لا يريد امتثاله. ولو لم يكن أمرًا لما كان عذره عند السلطان ممهدًا، ولو كان مريدًا لامتثاله لكان مريدًا لهلاك نفسه، وهو محال} انتهى بتغير يسير.''[lxvi]

ثم أضاف تحت عنوان 'تنبيه':

> ''الملازمة بين وجوب الرضاء بالقضاء وبين وجوب الرضاء بالمعاصي: ممنوعة؛ فلا يستلزم الرضاء بالقضاء الرضاء بها، بل يجب الرضاء بالقضاء لا المقتضي إذا كان منهيًا عنه.''[lxvii]

ثم تحت عنوان 'استطراد':

> ''أن الواجب الرضاء بالتقدير لا بالمقدور، وكل تقدير يرضى به لكونه من قبل الحق، ثم المقدور ينقسم إلى ما يجب الرضاء به كالإيمان، وإلى ما يحرم الرضاء به ويكون الرضاء به كفر كالكفر، وإلى غير ذلك.''[lxviii]

بالإضافة إلى ذلك، يمكن الإشارة إلى أن الفهم العميق للفارق بين الرضا بالقضاء والإرادة يساهم في تعزيز الصبر والرضا في وجه الصعوبات والابتلاءات. وهذا يوضح أن الرضا بالقضاء لا يعني الموافقة على المعصية، بل هو قبول لما قدره الله مع السعي لتجنب ما نهى عنه.

نسبة الإضلال إلى الله تعالى

إذا كان الله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر، فهو الهادي والمضل، كما ورد في الخطبة: {من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلِلْه فلا هادي له}. قد تبدو نسبة الإضلال إلى الله غير لائقة، لكن الحقيقة أن عدمها هو ما قد يكون غير لائق به، كما أوضح الشيخ رحمه الله تعالى في بحث أفعال العباد، مستشهدًا بكلام الغزالي:

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

''ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها، وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله، مع أنه عدو لله سبحانه، والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى. فليت شعري! فكيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة، لو ردت إليه رياسة زعيم ضيعة (أي قرية) لاستنكف منها، إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له إرادة الحق تعالى، وهذا غاية الضعف والعجز، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوًا كبيرًا.

''ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له.''[lxix]

فالله أحق أن يكون مالكًا ومسيطرًا من الشيطان الرجيم اللعين، لأن كل شيء مخلوق لله ويجري بإرادته، والنسبة الحقيقية لأي فعل إلى غير الله تجعل ذلك الفعل شركًا به.

يجب أيضًا مراعاة أن نسبة الإضلال إلى الله تعالى يجب أن تُفهم في سياق حكمة الله ورحمته اللامحدودة، والتي لا تتعارض مع مبدأ الاختيار الحر للإنسان. إن إضلال الله لبعض الناس يتم وفقًا لحكمته ورحمته، ويعكس جوانب متعددة من المشيئة الإلهية التي يجب على المسلمين فهمها في إطار العقيدة الصحيحة.

نتائج

علم الله تعالى بكل شيء: أظهرت الدراسة أن الله تعالى يعلم كل شيء قبل وقوعه، بما في ذلك معرفة من هو سعيد ومن هو شقي، ومن هم أهل الجنة ومن هم أهل النار. هذا يؤكد على شمولية علم الله تعالى ودقته في تقدير الأمور.

تقدير الله تعالى وفق الاستعداد: تبين أن كتابة الله تعالى للأقدار تتم وفق الاستعدادات التي يمتلكها الأفراد. فالشقاء أو السعادة لا تتغير إلا بناءً على الاستعدادات الداخلية للفرد، مما يعكس عدل الله وحكمته في توزيع الأقدار.

عدم معرفة الإنسان بما كتب في القدر: نخلص إلى أنه لا يمكن للإنسان معرفة ما كتب في القدر مسبقًا، لذا فإن استمرار العمل والاجتهاد هو الواجب، دون انتظار نتائج محددة مسبقًا.

توازن الإرادة والاختيار: أوضحت النتائج أن الإنسان ليس مجبرًا محضًا، فهو يعمل بإرادته، لكنه ليس مختارًا مستقلًا في خلق أفعاله. فالإرادة البشرية محدودة فيما يتعلق بكيفية وقوع الحركة، مما يبرز العلاقة بين الإرادة الفردية وقدرة الله تعالى.

خلق الله للأفعال: تأكدنا من أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، بما في ذلك الأفعال البشرية، سواء كانت خيرًا أو شرًا، مما يعزز من فهمنا لشمولية قدرة الله.

المجازات عند الله تعالى: تبين أن المجازات عند الله تعالى تتم وفق التسبب الطبعي وليس الانتقام الدنيوي. فهذا يعني أن كل سبب يترتب عليه مسبب، مما يعكس نظامًا عدليًا في الجزاء عند الله تعالى.

تأثير النتائج على فهم المعتقدات: تشير النتائج إلى أن الفهم العميق لمفاهيم القدر والإرادة والعدل الإلهي يعزز من وضوح المعتقدات الإسلامية الأساسية. هذا الفهم يساهم في تصحيح المفاهيم الخاطئة حول الجبر والاختيار ويعزز من الاعتقاد بالعدل الإلهي.

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

الأبعاد العملية للفهم: تفيد النتائج بأن المعرفة الدقيقة بمفاهيم القدر والإرادة تؤثر في كيفية ممارسة المسلم لدينه وتعاملاته اليومية. إذ تعزز هذه المعرفة من الصبر والتفاؤل وتدفع الفرد للاجتهاد والعمل دون القلق المفرط بشأن النتائج.

توصيات

تعزيز الفهم العقدي: يجب على المؤسسات التعليمية والدينية تعزيز الفهم العميق لمفاهيم القدر والإرادة من خلال الدروس والمحاضرات والندوات لتعزيز الوعي بين المسلمين.

تشجيع البحث والتطوير: تشجيع الدراسات والبحوث في مجال العقيدة والقدر لتوضيح المزيد من التفاصيل والنقاط التي قد تكون غامضة.

توضيح المفاهيم في وسائل الإعلام: ينبغي استخدام وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي لتوضيح مفاهيم القدر والإرادة، وضرورة التصحيح والتأكيد على العقائد الصحيحة.

تعليم التطبيقات العملية: تدريب الأفراد على كيفية تطبيق مفاهيم القدر والإرادة في حياتهم اليومية لتعزيز الصبر والعمل الجاد، والتعامل مع التحديات بمرونة وثقة.

الاستمرار في الاستفادة:**الاستفادة من العلماء**

نور البشر بن محمد نور الحق، ترجمة الشيخ في فتح الملهم (كراتشي: دار العلوم، 1340هـ -2009م)، ج 1، ص 7. وفيض أنبالوي وشفيق صديقي، حيات شيخ الإسلام، ص 10.

العثماني، شبير أحمد، التفسير (كراتشي: دار الإشاعة، 1428هـ - 2007م)، ج 3، ص 933.

نور البشر، ترجمة الشيخ، ج 1، ص 7؛ وأشار إلى الكتاب حياة العثماني (حيات عثماني) للأستاذ أنوار الحسن الشيركوتي رحمه الله.

فيض أنبالوي وشفيق صديقي، حيات شيخ الإسلام، ص 11.

عبد الرشيد أرشد، العشرون أكابرون المسلمون، ص 545-546. والشيركوتي، أنوار الحسن، تجليات عثماني (ملتان: إدارة تأليفات أشرفية، 1427هـ)، ص 35.

هو محمد شفيع بن ياسين الديوبندي العثماني الحنفي. تخرج في دار العلوم ديوبند سنة 1335 هـ. أخذ عن أنور شاه الكشميري، و عزيز الرحمن، و شبير أحمد العثماني. درس بعدها في دار العلوم ديوبند لمدة 26 سنة. هاجر إلى باكستان واستقر في كراتشي وأسس بها دار العلوم كراتشي، كما كان مفتيا أيضًا. ولد ببلدة بريلى (الواقعة اليوم ضمن أتر برديش)، والده هو الأديب والشاعر ذو الفقار علي الديوبندي. ناضل ضد الإنكليز واعتقل من قبلهم وهجر إلى مالطة. من آثاره ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية.

الشيركوتي، تجليات عثماني، ص 35. ونور البشر، ترجمة الشيخ، ج 1، ص 7.

المصدر السابق.

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

نور البشر، ترجمة الشيخ، ج 1، ص 7.

نور البشر، ترجمة الشيخ، ج 1، ص 8.

ولد في 12 ربيع الثاني عام 1317 هـ (20 أغسطس 1899م)، في مدينة بوبال، عاصمة ولاية بوبال الأميرية. أبوه هو مولانا محمد إسماعيل كاندهلوي (توفي عام 1942م)، وهو باحث إسلامي وتلميذ الحاج إمداد الله المهاجر المكي، كان يعمل في إدارة الغابات بالدولة. محمد إدريس كاندهلوي اهتم بالتفسير والحديث، حيث شغل منصب الشيخ المفسّر في دار العلوم ديوبند في الهند، ثم هاجر إلى باكستان وشغل منصب الشيخ المُحدّث والمُفسّر في الجامعة الأشرفية بلاهور. ألّف عددا من الكتب في تفسير القرآن الكريم، وعن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. تخرج من دار العلوم ديوبند وجامعة مظاهر العلوم سهارنفور، ودرس تحت إشراف علماء منهم خليل أحمد السهارنفوري وأنور شاه الكشميري وشبير أحمد العثماني. توفي 28 يوليو 1974م. وانظر لترجمته: مقدمة ''منحة المغيث شرح ألفية العراقي في الحديث'' للدكتور ساجد عبد الرحمن الصديقي (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1430هـ -2009م)، ص 70. والبخاري، أكابر علماء ديوبند، ص 215، 220. والبرني، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، ص 168، 171.

انظر لترجمته: أكابر عماء ديوبند، ص 221، 226. وعلماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، ص 165، 168.

انظر لترجمته: البخاري، محمد أكبر شاه، أكابر علماء ديوبند، ص 196.

انظر لترجمته: مجلة 'البنات' الأردية، العدد الممتاز عن الشيخ البنوري (الصادرة عن كراتشي: جامعة العلوم الإسلامية، عدد شهر محرم الحرام، عام 1398هـ -فبراير عام 1978م). ومحمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي (بيروت: دار ابن حزم، ط 2، 1433هـ - 2002م)، ج 2، ص 240.

نور البشر، ترجمة الشيخ، ج 1، ص 8.

الشيركوتي، تجليات عثماني، ص 643.

أيضًا، ص 647.

نور البشر، ترجمة الشيخ، ج 1، ص 8.

أيضًا، ص 9.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، ج 5، ص 74.

الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس (دار الهداية)، ج 13، ص 370.

إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط (دار الدعوة)، ج 2، ص 718.

ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 74؛ والزبيدي، تاج العروس، ج 13، ص 370.

إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، ج 2، ص 718.

سورة الليل: 6.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري (لبنان: دار طوق النجاة، 1422هـ)، ج 2، ص 96، رقم: 1362.

العثماني، التفسير، ج 2، ص 121، حاشية 2-3، ص 227، حاشية 6-7.

أيضًا، ج 1، ص 391، حاشية 2، ص 621، حاشية 1، ج 2، ص 243، حاشية 1، ص 287، حاشية 3.

العثماني، شبير أحمد، فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم (كراتشي: دار العلوم، 1340هـ2009-م)، ج 1، ص 321.

أيضًا، ص 330.

لعثماني، شبير أحمد، المقدمة: 'مسئله تقدير' (مسألة القدر) (لاهور: إدارة الإسلاميات، مارس 1978م، ص 6.

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

وكلاهما – يعني الشيخ شبير أحمد العثماني والشيخ أنور شاه الكشميري – من أساتذة الشيخ محمد شفيع العثماني، كما صرح في المقدمة: العثماني، المقدمة، ص 7.

العثماني، المقدمة، ص 7.

العثماني، التفسير، ج 2، ص 257، حاشية 4.

العثماني، التفسير، ج 2، ص 211، حاشية 2، 4، ص 257، حاشية 4، ص 259، حاشية 4، ص 703، حاشية 4، ص 707، حاشية 3.

أيضًا، ج 1، ص 641، حاشية 5، ج 2، ص 259، حاشية 2-3، ص 287، حاشية 4.

أيضًا، ج 2، ص 257، حاشية 4.

أيضًا، ج 1، ص 593، حاشية 2، ص 623، حاشية 5.

العثماني، مسألة القدر، ص 9-10؛ والتفسير، ج 2، ص 211، حاشية 2-3.

سورة الطلاق: 12.

العثماني، مسألة القدر، ص 11، 23.

أيضًا، ص 11-13.

أيضًا، ص 23-24؛ وانظر أيضًا لقول الإمام الغزالي – ''وكيف تكون جبرًا محضًا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية؟!'' – الذي نقله الشيخ: العثماني، فتح الملهم، ج 1، ص 330.

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج 1، ص 36-37، رقم: 8/1.

العثماني، فتح الملهم، ج 1، ص 322-323؛ ومسألة القدر، ص 13-14.

العثماني، مسألة القدر، ص 14-18.

العثماني، فتح الملهم، ج 1، ص 323.

العثماني، مسألة القدر، ص 14-18، 22-23؛ وفتح الملهم، ج 1، ص 323.

العثماني، التفسير، ج 2، ص 197، حاشية 5.

أيضًا، ج 1، ص 427، حاشية 2، ص 529، حاشية 7.

العثماني، مسألة القدر، ص 18-21؛ وأيضًا انظر لأقوال الإمام أبي حامد الغزالي والشيخ ولي الله الدهلوي والسيد الشريف علي بن محمد الجُرجانيّ من شَرح المواقِف التي نقله الشيخ: العثماني، فتح الملهم، ج 1، ص 330-332.

العثماني، مسألة القدر، ص 21-22.

أيضًا، ص 24، 28؛ وفتح الملهم، ج 1، ص 331.

سورة البقرة: 286.

العثماني، التفسير، ج 1، ص 829، حواشي 1-2، ج 2، ص 257، حاشية 4.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م)، ج 5، ص 510، رقم: 3462: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارٌ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ القَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ " وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ».

Al-Qirtas القرطاس
http: https://al-qirtas.com/index.php/Al-Qirtas
E(ISSN): 2709-6076
P(ISSN): 2709-6068

العثماني، مسألة القدر، ص 24–30، 32–34؛ وفتح الملهم، ج 1، ص 330–331.

العثماني، مسألة القدر، ص 30–32.

العثماني، التفسير، ج 2، ص 37، حاشية 2، ص 257، حاشية 4، ص 419، حاشية 3، ص 537، حاشية 4، ص 543، حاشية 2، ص 633، حاشية 1، 4، ص 635، حاشية 5، ص 651، حاشية 1، ص 587، حاشية 3.

العثماني، مسألة القدر، ص 35–37؛ والتفسير، ج 1، ص 811، حاشية 2، ص 853، حاشية 2، ج 2، ص 37، حاشية 2، ص 133، حاشية 5، ص 179، حاشية 7، ص 185، حاشية 5، ص 227، حاشية 7، ص 255، حاشية 2، وفتح الملهم، ج 1، ص 385–386.

العثماني، التفسير، ج 1، ص 651، حاشية 3.

العثماني، فتح الملهم، ج 1، ص 333؛ والتفسير، ج 2، ص 171، حاشية 2، ص 175، حاشية 1–2، ص 253، حاشية 1، ص 261، حاشية 6، ص 275، حاشية 6.

العثماني، التفسير ج 1، ص 693، حاشية 1.

أيضًا، ص 199، حاشية 1.

العثماني، فتح الملهم، ج 1، ص 331.

أيضًا، ص 331.

أيضًا، ص 332.

العثماني، فتح الملهم، ج 1، ص 331؛ والتفسير، ج 1، ص 659، حاشية 2.